كلمة الأستاذ محمد

في معترك حياتنا المعاصرة التي علا فيها صخب المنفجرات المدوّية وضجيج الرجات المقوّضة وتلبدت اجواؤها بالرهج الذري والدخان المشتعل فلم يعد من الممكن ان يُسمع فيها صوت الا اذا قرع الأسماع كنفخ الصور أو يُلمحَ بريق الا اذا أعشى الأعين بسطوعه، لا يجد بنو الكرد من اصداء تأريخهم و شرارات ملاحمهم دويّا يصك الأسماع و ضوء يخطف الأبصار كالذي انبعث من بلاغ شاعرهم و أديبهم و رائدهم وباعث روحهم و نافخ جمرهم صلصلةً كضربات القدر و شعلةً من تجليات الله (فاضت على وجودهم) قبل قرن من الزمان ولم تزل تثور بوجدانهم و تبرق في أخلادهم و تضيءُ مواقعَ خطاهم في الحاضر الماثل و تمتد منها خيوط النور نحو المستقبل المنظور.

أقول هذا على حين تتألّق آفاق الكرد بشفق النورة وتحتدم أجواؤه بصيحة البطولة، ذلك لأن ثورته و بطولته اذ تهزّ اليوم اغوار وجوده انما تستحضر برهاناً للحق اضطربت به روح (حاجي) و نورا من الهداية شع به ضميره. و لقد ندر في التأريخ كله مثال كحاجي نظر المستقبل و استشف المنتظر و استكنه المصير حتى كأنه ينطق بلسان القدر و يرسم من لوح محفوظ ما يخطّ قلم القضاء في مآل شعبه. وانها لأعجوبة الأعاجيب ان يصدر منه القول في المآل والمصير على صورة من الصراحة تكاد تبلغ حد الجهر بتحدي الاحتمالات ان تجريَ على غير ما قدره لها فتجريَ على ما قدر و تنحوَ على نحو ما صور، فكأنه من وراء حجارة اللحد في أرض الغربة تمسك روحه ازمّة تأريخنا بيد من العبقرية قادرة على ضبط شكائم الأحداث.

ولستُ في موقف يسمح بسرد الشواهد مما قاله في الامور الجسام فحققتها الأيام فان السبح في بحوره العميقة والسعي نحو مراميه البعيدة أحرى ان يكونَ عمل المتأني لا مجالة الخطيب، ويكفيني شاهداً قريباً

تحت السمع والبصر لهذا الحشد الذي يهتف لذكره ويحف بتمثاله ويقسم باعتابه وودّ لو عانق أعظمه فلقد سبق منه التصريح بحتمية وقوع ذلك وأوقع في روع الاجيال بعد موته انهم سيذوبون حسرة عليه ويأخذون اشاراته لمحات من النبوة الصادقة، وبلغ من قوة بيانه وشدة إيمانه فيما يقول ان كلماته تلك استحالت منائر للرشد اهتدينا بها نحن اهل المجمع العلمي الكردي بعد قرن مضى على انبلاجها الأول ووجدناها أغلى حلية يمكن أن ترصّع صدر اللوحة التي تقربنا بها زلفى الى قاعدة تمثاله. فما أعظمه رافداً يُهدى إليه من عطائه!

لقد قال غير (حاجي) كلاماً في المآل والمصير المستقبل فمنهم من قارب ببصره لواقع المسار ومنهم من ابتعد عنه فظفق مشايعوه يتأولون له ويتمحلون. ومن بين من أصاب سهمه أو طاش اخال (حاجي) قد تفرد في استشراف ببصره بالغيب من روحه وذهنه، من دمه وعصبه، من وجدانه كله العاطفي والواعي فأمكنه أن يتناغم مع لحن التأريخ ويتمثل غد شعبه وكأنه يوم حاضر بل يوم غابر مفروغ من فهمه، مفترضاً ادراكه، فاحتضنه وأطبق عليه وترجم عنه بياناً يعكس خبرة المعايشة ويشعّ بدفء الملابسة حتى ان القارئ له بعد ست وسبعين سنة من مماته يكاد يقي وجهه لفح كلماته ويتدارأ من لسع وخزاته. لقد فنيت ذاته في شعبه واندمج به كيانه بأوثق ما تتشابك اللحمة والسدى حتى ليصدق القول انه بلغ في ذلك انتشار شيوع القطرة في اللجّة وانتشار شيوع اللون في الصورة، فلا عجب بعد هذا ان يصيب قوله في مصائر الكرد مثل اصابته في اطوار عمره صبيّ وشاباً واكتهالاً، وانه اذا استقر نبضه في عروق الكرد ادهاراً بعد سكون قلبه فقد سبق له ان اكتسب حق مشاركة كل كردي بعضاً من حياتهم ووجدانهم بما أسلف من هبتهم كل حياته ووجدانه. وهو اذا عاش يومنا واستغرق غدنا فأنا يمارس

بذلك خلوده ويعاود عمراً أنّى نامن قبلُ أزيحه وعنفوانه.

أيها الحفل الكريم: بريئة ذممكم في مسح كل كلمة وصفتُ بها مقداره، واسقطوا من موازين عظمته أثقال البصر بالمستقبل والضياء في الشعب والقدرة على الخلود، فليس ينقصه أن يُسلخ منه ما اذا سُلخ من العظيم عاد غير عظيم. والمشكل في أمره تحديد مقدار ما يسوغ حجبه من مزاياه ليبرأ القائل فيه من شبهة التحيّز له، ولنستأنف في ذرع أبعاده ميادين أخرى للتفوق كل منها يقطع نفَس الجَلْد الصبور: فانه مما غلب فيه ~~احمد شوقي~~ طبيعة الاشياء أن يتقدم على مثل "احمد شوقي" وجل ادباء العربية وغير العربية، ان لم أقل كلهم، في تزييف دعوى الخلافة من (آل عثمان)، وان يسبق جمال الدين الافغاني في الاعيان بالعلم ودحض الأسطورة، وأن يأتي قبل (قاسم أمين) في مساواة المرأة بالرجل، وأن يتخطى أوانه بما يقرب من نصف قرن في التبشير بالقومية المستنيرة، وان يكون في الجملة مثال الرجل المستقبلي وهو الذي نما وترعرع في أحضان الماضي يرضع كتب الصرف والنحو والعقيدة وقضى ثلثي عمره لا يرى غير شبح حائل من حضارة القرن التاسع عشر ولا يكاد يسمع نأمة من أصدائها.

لا جَرَم يحار فهم هذا العصر المتعود على ربط النتيجة بالسبب في ادراك القوة الخارقة التي استلّت (حاجي) من اغماد الماضي نصلاً يلتمع ويثور في عنيهب الغد، وفكراً يُعبّرُ منه الى المآل والمصير، وتجتمع له اسباب القوة والديمومة من منطلق العوز والوهن. فمهما حاول المتكلف تقريب مسافة الخلف بينه وبين واقعه ورفع التناقض من مضامين نشأته يظل التساؤل حائراً كيف اجتمع فيه قوة عارضة (المتنبي) واحتقار الارتزاق على فاقة وإملاق، وأيّ سماء أوحت إليه عشقَ الحق في بواكير عمره وأبته على غيره، وأي مَعين خصّهُ دون الناس بالجرأة التي لا تعرف حدّاً ولا صدّاً، وهل أتاه

ارهاص من حيث لا يعلم ولا نعلم بأنه سيكون مختار القدر لنفض الخور عن أعراق أمة كي يسمو بنفسه منذ الصغر على مغفور النقص الضعف ومعتاد النقص في البشر فلا تعي منه الأخبار والآثار غير المعجب من القول والعمل مما يليق بالمثل المختار والقدوة المصطفاة! وليس ذلك تمام الحيرة فيه، فكأني بالقدر اراد الكمال لطقومات الأعجاز في مثله المختار فبعث رسوله في الوطنية الكردية فرداً يتيماً فقيراً مغتربا كالمقطوع من نجره، يعيش ويموت أقصاب وأقصاب من الناس مثله لا يتركون أثراً ولا يوحون خبراً، وأن بعضا من عوامل التنكير التي ركمها القدر في حياة هذا الجبار ليفيض عن مقتضى تنكير رهط من العباقرة وليس أقلها تنكيراً انتماؤه الى شعب تفرد بين الشعوب ضياعاً وخاراً.. فما كانت شدة الظلام من حوله الا زيادة في توهج نوره، ومن فوق الكثافة التنكير وعبر الكثافة التجهيل استفاضت شهرته و تدفقت منه معاني الخلود. ولقد أضفى المثل المختار على تمام الأعجاز المقدور اضافات من عنده فاستزاد من عطاء القدر له في المتربة و أبقى نفسه في حرز مما يستضعف النفوس الكبيرة أو يلهيها من نشب ولقب، وأوغل في هذا المسلك حتى استحلى الجوع الكريم والتشرد الفخور والألم النابغ وأوشك ان يحب ذلك كله الذ في مذاق اللسان، لامذاق الروح وحده، من النعم العضة البضة وبلغ خيل مراتب الاحتراز من مغرياتها والامتناع على مشهياتها فكأنه في مراتع السياسة ومرابع المادة يأخذ زهده بمثل النهمة التي اخذ بها المتصوف المتجرد في الدين تقواه حين قال:

واخشن الدرسية من جوع ومن شبع
ضرب مخمصة شريدٌ من التخم

فهو في استمرائه مفاخر الغربة والتفرد والمتربة يسمو على مشارب

العاتية ويرد رياض الرسل المخلدين واثقاً من نفسه، ثابت الجنان، راسخ القدم لا تخامره يقينه شائبة من الوهن والا لثقلت بتخليقه دون المرتقى الذى يقول فيه ما معناه:

"انا انا وحدى اليوم وريث عيسى"

"لا أهل وللمال ولا ولد ولا مأوى"

لقد ذهب فى مجال التفوق على علائق المادة مدى اوفى به على الغاية وجاوز النهاية لأى تجد بلغه رجل فى السياسة قبله، فهو فيما تصدى له برسالته القومية من مجابهة التأريخ والنزول على مقتضاها من نكران الذات قد استصغر معتاد العناء واستيسر مفارقة الجاه وتخطى إساغة الغربة فركب المركب الأوعر ظهراً وارتشف الكأس الأمر مشرباً ان اثل من أحبّ ما يعقد اواصر الإنسان بالوجود ويغريه بالحياة من زواج وإنجاب واولاد وأحفاد فاستصفته الوطنية لذاتها واستخلصته كردستان لرسالتها واستعاض هو عن حبة السكن والولد عشقاً للوطن وغراماً بالقوم فى سعة الازل والأبد، فيا لها تجارة صغرت فى حسبانها المغانم وكبرت اقدارها على الموازين.

أيها الملك الكريم

سلامٌ عليك جسماً فى المنتأى وروحاً فى الملتقى، وحباً فى ضمائرنا وفخراً فى شاعرنا ورمزاً للشرف والمجد والفداء الى أبد الآبدين ودهر الداهرين.